«الحرية الشخصية»

الحديث الرابع:

عَنْ النُّعْمَانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال:

«مَثَلُ القَائِمِ عَلى حُدُوْدِ اللهِ، والوَاقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلى سَفِينَةٍ فأصَابَ بَعْضُهُمْ أعْلاَها وأصَابَ بَعْضُهُم أسْفَلَها، فَكَانَ الَّذِينَ في أسفَلِهَا إذا اسْتَقوا مْن الماء مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهم فآذَوْهُم، فَقالُوا: لَوْ أنَّا خَرَقْنَا في نَصيبنا خَرقاً ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوْقَنا، فإنْ تَرَكُوهُمْ ومَا أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وإنْ أخَذُوا عَلَى أيْدِيهِمْ نَجوْا ونَجَوا جَمِيعاً».

«رواه البخاري والترمذي»

الأبحاث العربية:

القائم على حدود الله: المراد به المستمسكُ بالدين، القائم بواجب الدعوة من أمر بالمعروف، ونهيٍ عن المنكر، وحدودُ الله تقسم إلى قسمين: حدود الأمر، وحدود النهي، فحدود الأمر يجب امتثالها، وحدود النهي يجب اجتنابها فمن الأول قوله تعالى ﴿**وَتِلكَ حُدُود الله يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُون**﴾ (١) ومن الثاني ﴿**تِلكَ حُدُود الله فَلاَ تَقْرَبُوها**﴾ (٢).

الواقع فيها: المراد به المستهتر بأمور الدين، المرتكب للمنكرات والمعاصي الذي لا يبالي بما فعل من فُحْشٍ وموبقات.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

استهموا: اي اقترعوا فيما بينهم، والقرعة إنّما تكون لقطع النزاع ورفع الخلاف. وفي الحديث الشريف «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهَموا» والمراد بالنداء: الأذان، وكان ﷺ إذا أراد سفراً أسهم بين نسائه. أي ضرب القرعة بينهن فأيتهن خرجت قرعتها أخذها معه.

خرقنا في نصيبنا: أي ثقبنا المكان الذي نحن فيه لنستخرج منه الماء والمراد خرق السفينة.

أخذوا على أيديهم أي منعوهم مما أرادوه من خرق السفينة، والتعبيرُ بلفظ (أخذوا على أيديهم) يفيد المنع بالقوة كمن شددنا يديه بالوثاق لمنعه من الحركة والعمل. وهذا كما قال السفهاء من كفار قريش لبعضهم البعض (خذوا على يديه قبل أن تظهر دعوته) أي منعوه بالقوة والحزم قبل أن ينتشر دينه.

الأبحاث النحوية:

(مثل القائم): مثل مبتدأ وخبره جملة (كمثل قوم استهموا على سفينة)، وجملة (استهموا على سفينة) صفة لقوم، ولفظ (أعلاها) مفعول به لأصاب وهو مضاف إلى الهاء أي أعلى السفينة. (مرُّوا على من فوقهم) مَنْ اسم موصول بمعنى الذي ومحلّه الجر بعلى، وفوقهم منصوب على الظرفية، والجار والمجرور متعلق بمروا. (فقالوا: لو أنا خرقنا الخ) جملة لو أنا خرقنا مقول القول لأنَّ (قال) تنصب الجمل ولا تنصب المفرد (خرقاً) مفعول

الأبحاث البلاغية

١ ـ قوله (مثل القائم.. كمثل قوم استهموا) فيه تشبيه يسمى (تشبيهاً تمثيلياً) لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد.. وهذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس فإنَّه إذا وقع في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيدٍ

بالبرهان ليقنع السامع، وإذا جاء بعد تمام المعاني كان كالبرهان الذي تثبت به الدعوى، والحجة التي توجب الإذعان مثل قول الشاعر:

«لا ينـزل المجـد إلا في منـازلنـا كالنَّوم ليس له مأوى سـوى المُقَـلِ»

٢ ـ بين لفظ (أعلاها) ولفظ (أسفلها) طباق بين اسمين، والطباق هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى كما هو معلوم في (علم البديع)، وكذلك يوجد طباق بين قوله (القائم والواقع).

٣ ـ (وإن أخذوا على أيديهم) في هذا اللفظ (كناية) لطيفة فقد كنَّى عن المنع بالأخذ على الأيدي فهو إذاً كناية عن (صفة) أي فإذا منعوهم عن تنفيذ ما أرادوا الخ.

ترجمة راوي الحديث:

راوي هذا الحديث الشريف هو (النعمان بن بشير بن سعد) الأنصاري الخزرجي يكنَّى (أبا عبد الله) وهو أول مولود في الاسلام من الأنصار، وُلِدَ بعد الهجرة بأربعة أشهر وله صحبة بالنبي ﷺ هو وأبوه ولذلك يقال رضي الله عنهما، تولى قضاء الشام ثمَّ استعمله (معاوية) رضي الله عنه على الكوفة، وكان من الخطباء المشاهير الذين لا يجاريهم أحد في قوة البيان، وجودة التعبير. وقد قتل رحمه الله بالشام في إحدى القرى التابعة لحمص في ذي الحجة سنة ٦٤ هـ ودفن هناك وكان مقتله في عهد (مروان بن الحكم)، روي له عن النبي ﷺ (١١٤) مائة واربعة عشر حديثاً أخرج بعضها البخاري وبعضها مسلم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الشرح الأدبي:

مثل في منتهى الجمال والروعة، يضربه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لأولئك الذين أخطأوا الطريق، وَضلوا الجادّة، وتنكَّبوا عن سبيل الهدى، ففهموا (الحرية) فهماً خاطئاً، وساروا في هذه الحياة حسب أهوائهم وشهواتهم.. ومثلٌ آخر لأولئك الذين رأوا المنكر فسكتوا عنه، وأغمضوا أعينهم عما يدور حولهم من آثام

وموبقات، كأنَّ الأمر لا يَعْنيهم، وظنُّوا في أنفسهم الصلاح والفلاح!.

إنَّه مثل رائع من روائع الحِكم النبوية، التي ضربها الرسول الكريم، معلم الإنسانية، ومهذب البشرية، الذي دانت له الفصاحة والبلاغة، وأعطي جوامع الكلم، فكان له منها النصيب الأوفر، فصلوات ربي وسلامه عليه!.

مثل في غاية الروعة يصوّر فيه الرسول الكريم (المجتمع البشري) بما فيه من أخيار وأشرار، ومتقين وفجّار، بركاب سفينة في بحر خِضمٍّ متلاطمِ الأمواج، هذه السفينة تسير وسط البحر، تشق طريقها بَين الأمواج والأعاصير، وقد انقسم الركاب فيها إلى قسمين: قسم في أعلى السفينة، يتمتعون بجمال الكون، وروعة الطبيعة، ونضارة الحياة، وقد تأمنت لهم كل اسباب الرفاهية والراحة، من مياه عذبة نقية، وسُرر وأرائك، وخدمٍ وولدان يسعون في خدمتهم وقضاء حاجاتهم.. وقسم في أسفل السفينة، لا يرون مناظر الطبيعة، ولا يتمتعون بجمالها الخلاَّب، ولا ينعمون بما ينعم به إخوانهم في الطبقة العليا، حتى الماء فقد كانوا يجلبونه من الأعلى.. وهنا خطرت لهم خاطرة: وهي أن يثقبوا أسفل السفينة ويستخرجوا من البحر الماء، حتى لا يتعبوا أنفسهم في حمل الماء، ولا يزعجوا جيرانهم، وهنا بدأوا بما عـزمـوا عليـه وقـرروا ثقـب السفينـة، فاستخرجوا المعاول والفؤوس، وراحوا يضربون بها السفينة لاستخراج الماء.. وسمع الذين هم في الطبقة العليا أصوات السفينة وهي تخرق، فهرعوا نحوهم ووقفوا في وجههم يريدون منعهم، ولكنَّ أولئك الأذكياء «الشطّار» استاءوا منْ تدخل إخوانهم وقالوا لهم: هذا مكاننا نصنع فيه ما نشاء لأننا «أحرار»، وهل تمنعون الناس من استعمال حرياتهم؟ فإن تركوهم على إرادتهم وصنيعهم هلك ركاب السفينة جميعاً، وإن منعوهم وأخذوا على أيديهم نجوا جميعاً!.

وهكذا نحن حالنا في هذه الحياة، نعيش فوق سطح هذا الكوكب الأرضي، (كركاب السفينة) فينا البر والفاجر، وفينا الصالح والطالح، فإن تركنا أهل الشر والفساد يسرحون ويمرحون، ويفعلون ما يحلو لهم وما يشاؤون، دون أن نوجِّه لهم النصح، أو نمنعهم عن اقتراف الموبقات والآثام هلكنا جميعاً، وإن منعناهم منها نجونا

جميعاً، فكان في ذلك نجاتنا ونجاتهم، وحياتنا وحياتهم.. فيا له من مثلٍ رائع، وتوجيه حكيم. نبهنا إليه رسول الهدي والرحمة ونبي العلم والعرفان. يا له من مثل رائع لو أنّ الناس كانوا يعلمون!!.

★ ★ ★

« الجليس الصالح، والجليس السوء »

الحديث الخامس:

عَنْ أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيَّ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

« إنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجلِيسِ السُّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فحاملُ المِسْكِ أمَّا أن يُحْذِيَكَ، وإمَّا أن تَبْتَاعَ مِنْهُ، وأمَّا أنْ تَجدَ مِنْهُ ريحاً طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً مُنْتِنَة ».

(رواه البخاري ومسلم)

الابحاث العربية:

الجليس الصالح: إنما أداة حصر، والمثَلُ بفتحتين: الشأن العجيب، والأمر الغريب ويستعمل في تقريب البعيد، وتوضيح الغامض قال تعالى ﴿**وتلك الأمثالُ نضربها للنَّاسِ وما يَعْقِلُها إلا العَالِمون**﴾ (١) والأمثال لها أثر عظيم في النفوس ولذلك فقد أكثر منها القرآن.

مثلُ الجليسِ: يقصد بالجليس الصالح هنا الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمة. وفي الحديث الشريف: « لا تُصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تَقِيٌّ ».

جليس السَوْء: يقصد به الصديق والصاحب السيء الذي فسدت طباعه وساءت أخلاقه والسَوْء بالفتح مصدر وبالضم اسم مصدر، وقال اللغويون: يجوز فتح السين وضمها.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

كحامل المسك: المراد بحامل المسك بائع المسك وهو الطيب الذي يتطيب به الناس والمقصود منه هنا هو «بائع العطورات» لأنه يقابل (الحداد) نافخ الكير.

ونافخ الكير: الكِيْر: هو حانوت الحدَّادِ وأمَّا نافخ الكير فالمراد به الحدَّاد الذي ينفخ النار على الحديد حتى يحمرَّ فيستعمله.

تبتاع منه: أي تشتري منه وهو فعل مضارع من باب الافتعال للمبالغة في طلب البيع. وفي الحديث الشريف: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له لا رَبَحَ الله تجارتك».

ريحاً مُنتنة: أي رائحة كريهة تنفر منها النفس، يقال أنتن الطعام إذا فسد وانتشرت منه رائحة خبيثة، وفي الحديث «دَعُوها فإنها مُنْتِنة» وهي قولهم يا للأنصار ويا للمهاجرين.. الخ.

الأبحاث النحوية:

١ - إنما: كافة مكفوفة ملغاة لا عمل لها، وهي تفيد الحصر.

٢ - مثل: مبتدأ وخبره جملة (كحامل المسك ونافخ الكير)..

حامل المسك: حامل مبتدأ والمسك مضاف إليه والخبر هو جملة (إمَّا أن يحذيك..) الخ.

٤ - ريحاً طيبة: ريحاً مفعول به لـ (تجد)، وطيبة صفة وصفة المنصوب منصوب، ومثلها ريحاً متنة، وقوله (إمَّا) شرطية تفيد معنى التفصيل.

الأبحاث البلاغية:

١ - قوله (إنَّما مثل) قصر إضافي يسمى هنا (قصر موصوف على صفة) وعلماء النَحو يقولون: أنَّمَا للحصر مثل ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾[1].

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

٢ ـ قوله (مثلُ الجليس الصالح) فيه تشبيه يسمى (التشبيه التمثيلي) حيث شبّهه ببائع الطيب الذي يدخل إليه الإنسان، فيشتري منه أو يهديه البائع، أو يشم الرائحة العطرية الزكيّة.

٣ ـ قوله (كحامل المسك، ونافخ الكير) فيه لفٌ ونشر مرتب، وهو من المحسنات البديعية، فحامل المسك مثل للجليس الصالح، ونافخ الكير مثل للجليس السوء، وسمى (لفاً ونشراً مرتباً) لأنه قد عاد عليهما بالترتيب ومثله قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، لِتَسْكُنُوا فيهِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١).

الشرح الأدبي:

ما أروعه من معنى وما أجمله من تصوير! تتجلى فيه البلاغة النبوية وروعة البيان، وإن من البيان لسحرا، صورة حية صادقة للجليس. فالجليس الصالح هو الذي ترتاح اليه نفسك، ويطمئن به فؤادك وتنتعش روحك.. تطرب لحديثه وتنعم بمجالسته، وتسعد بصحبته، انه عدة في الرخاء وزينة في الشدة، وبلسم الفؤاد وراحة النفس:

صحبـــة الصـــالحين بلســم قلبـــي إنها للنفـــوس أعظـــم راقـــي

وقد شبهه الرسول ﷺ ببائع الطيب، الذي ينفحك بعطره، ويغمرك بنشره فإما أن يهديك وإما أن تجد عنده ريحاً طيبة، فأنت معه في ربح دائم ونشوة غامرة.

أما جليس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحدّاد، الذي ينفخ بكيره، فأنت معه في خسارة دائمة فإن لم يحرقك بناره، أحرقك بشراره فصحبته همّ دائم، وحزن لازم.

وقد سأل أحدٌ الشعراء عن جواب لهذا البيت:

« مالي أرى الشمع يذوي في معادنه: من صحبة النار أم من فرقة العسلِ »؟

فأجابه أحد الأدباء:

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٣.

« مـن لم تجانسـه فـاحـذر أن تجالسـه : مـا ضرَّ بـالشمـع إلا صحبـة الفتـل »

وهكذا يقولون: من جالس جانس لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء ولهذا أمر الباري تبارك وتعالى بصحبة الصالحين: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ، وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (١).

★ ★ ★

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

«هلاك الامم»

الحديث السادس:

«عن أُمِّ المُؤمِنينَ رَضِيَ اللهُ عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دَخلَ عليها فَزِعاً يقولُ: ويلٌ للعربِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجُوجَ ومأجُوجَ مِثْلُ هَذِه ـ وحلّقَ بأُصْبعيهِ الإبهامِ والتي تَليها ـ فَقلتُ يا رسولَ الله: أنَهْلِكُ وفينا الصَّالِحونَ؟ قالَ: نَعمْ إذا كَثُرَ الخَبَثُ».

«رواه البخاري ومسلم»

الأبحاث العربية:

فَزِعاً: الفَزَع: الذعرِ والخوف ومنه قوله تعالى ﴿**لا يَحزُنُهُم الفَزَعُ الأكبر**﴾ (١) وقوله سبحانه ﴿**وهُمْ مِنْ فَزَعٍ يومئذٍ آمِنُون**﴾ (٢) وفي الحديث الشريف الذي رواه أنس: «فزع أهل المدينة ذات ليلة فخرجوا جهة الصوت فرأوا الرسول ﷺ وهو راجع يركب بغلته وهو يقول: لن تراعوا، لن تراعوا فكان الرسول ﷺ أسبقهم..».

ويل للعرب: كلمة ويل تستعمل للتهديد والوعيد مثل قوله تعالى ﴿**فَوَيْلٌ لهُم مِمَّا كَتَبَتْ أيْدِيهم وَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا يَكْسِبون**﴾ (٣) وقوله سبحانه ﴿**وَيْلٌ للمُطَفِّفين**﴾ (٤) أي هلاك وعذاب لهم، قال في الصحاح: ويلٌ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١.

كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب.. وقد تستعمل لإظهار الحسرة والتفجع كما في الحديث هنا وكما في قوله تعالى ﴿**وهُما يَسْتَغِيثان اللهَ ويلكَ آمن إنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ**﴾ [1]. والعَرَب اسم جمع يقابل الفُرسَ والعَجَم، وأما الأعراب فهم سكان البوادي يقابل سكان المدن وهم الحاضرة. (أنظر دليل الفالحين).

ردم يأجوج: الرَّدْم: السدّ العظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿**اجْعَلْ بَيْنَكُم وبَيْنَهُم رَدْماً**﴾ [2] أي: سداً متيناً. والرَّدْم أكبر من السدّ وأوثق فهو السدّ المتين والحاجز الحصين.. وردم يأجوج ومأجوج هو السد العظيم الذي بناه (ذو القرنين)، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿**قَالُوا يَاذا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً على أن تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً**﴾؟ [3] ويأجوج ومأجوج هما: التتر والمغول أصلهما من أبٍ واحد يسمى (تُرك) وكانوا يسكنون الجزء الشمالي من آسيا وهم من الأمم المتوحشة.

الخَبَث: أي إذا كثر الفسوق والفجور. هكذا فسّره الجمهور، وقيل المراد به المعاصي مطلقاً.. وأصل الخَبَث الشيء النجِسُ المستقبح ثم اطلق على كل فاسدٍ وقبيح من القول والعمل.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ **قوله (ويل للعرب) جملة خبرية ابتدائية، والغرض من هذا الخبر إظهار (التفجع والحزن) على ما يحلّ بالعرب في آخر الزمان.**

٢ ـ بين لفظيَ (العرب) و (اقترب) في علم البديع ما يسمّى بـ (السَّجع) وهو

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٤.

توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وهو في النثر كالقافية في الشعر، وأفضله ما تساوت فقره، وهو على ثلاثة أنواع (سجع مطرَّف، وسجع مرصّع، وسجع متوازي). وللسّجع نغمة موسيقية ووقع جميلٌ، ولا يستحسن إلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلّف والتصنعِ كما في هذا الحديث الشريف، وإلا فهو ثقيل يشبه سجع الكهّان.

٣ ـ قوله (مثل هذه): فيه تشبيه وهو (مرسل مجمل) لأن أداة الشبه مذكورة، ووجه الشبه محذوف.

٤ ـ قوله (الخبث) هو كناية عن الفسوق والفجور الذي يكثر في آخر الزمن فهو (كناية عن صفة).

٥ ـ قوله (أنهلك وفينا الصالحون)؟ استفهام للتعجب من هلاك الأمة وفيها العباد الصالحون.

الأبحاث النحوية:

(ويل للعرب): ويل مبتدأ والجار والمجرور هو الخبر وجاز الابتداء بها مع أنها نكرة لكونها موصوفة، والوصف هنا تقديري أي ويل عظيم للعرب، وقد ذكر النحاة أن الوصف على ثلاثة أنواع: وصف لفظي كقوله: رجلٌ من الكرام عندنا، ووصف تقديري كقوله تعالى ﴿**وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمَ أَنْفُسُهُمْ**﴾ [1] فإن تقدير الكلام وطائفة من غيركم، ووصف معنوي وهو إذا كانت النكرة على صيغة التصغير كقولك: رُجَيْلٌ عندنا. فإن المعنى رجل صغير عندنا [2] (فزعاً): حال من فاعل دخل. أي دخل عليها الرسول حال كونه مذعوراً مضطرباً وهو منتقل مشتق وليس جامداً (يقول): فعل مضارع والجملة من الفعل والفاعل في محل نصب حال ثانٍ. أي فزعاً قائلاً ويل للعرب: (يأجوجَ ومأجوج): لفظ يأجوج ومأجوج مضاف اليه ومحله الجر بالاضافة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٢) أنظر شرح ابن عقيل صفحة ١٨٨.

ولكنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة: (مثل): نائب فاعل لفُتِحَ، (وحلَق): الواو واو الحال والجملة حالية. (وفينا الصالحون): الواو للحال الجار والمجرور (خبر) مقدم والصالحون (مبتدأ) مؤخر، وجملة (إذا كثر الخبث) مقول القول.

ترجمة راوي الحديث:

الراوي للحديث الشريف زوج الرسول لله وهي (زينب بنت جحش) رضي الله عنها التي أسلمت مع المسلمين الأوائل وهاجرت مع رسول الله ﷺ، وهي ابنة عمة الرسول الكريم وأمها هي (أميمة بنت عبد المطلب).. وقد تزوجت (زيد بن حارثة) مولى رسول الله ﷺ ومتبنّاه، ثم بعد أن طلقها زيد أراد الرسول الكريم أن يتزوجها ليبطل (حكم التبني)، ولكنه كان يخشى من ألسنة المنافقين أن يقولوا تزوَّج أمرأة ابنه من التبني، فكان يتمهل في الأمر حتى أنزل الله سبحانه وتعالى حكمه القاطع بتزويج الرسول من (زينب) وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي ازْوَاجِ أدْعِيَائِهِمْ**﴾ [1] توفيت بعد الرسول ﷺ سنة عشرين من الهجرة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف من دلائل النبوَّة، ومظاهر الرسالة ما فيه، فقد أشار إلى ناحيةٍ غيبية تقع للعرب في المستقبل القريب، وقد حصل كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ حيث كثرت الفتن والنكبات على العرب والمسلمين واشتد عليهم البلاء وحلت بهم الكوارث، وذلك كله ناتج عن تغيرهم وانحرافهم عن هدي الاسلام الحنيف، واستبدالهم النظم والقوانين العربية التي هي من وضع البشر، بالنظام السماوي الإلهي.. فلذلك استحقوا عذاب الله وانتقامه، وإذا كثر الشر والفساد وانتشرت المعاصي والمنكرات هلك الناس جميعاً صالحهم وطالحهم، وأحاط بهم العذاب لأنَّهم بهذا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

السكوت عن مقاومة المنكر جرَّأوا الناس على اقتراف الآثام والفواحش، وهذا ما أشار اليه هدي الرسول العظيم ﷺ حين سألته السيدة زينب: أنَهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث..

والحديث الشريف يصوّر حالة النبي ﷺ وهو يدخل بيت زوجه زينب رضي الله عنها وهو في حالة من الفزع والاضطراب تشير إليهما علائم وجهه الشريف وحزنه العميق وهو يردّد هذه الكلمات (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب) فإن هذه الصورة المفزعة لتشهد بمبلغ الأسى والحزن الذي كان يختلج في صدر النبي عليه الصلاة والسلام لما يلحق العرب من كوارث ومصائب لا تعدُّ ولا تحصى، وقد أشار الرسول الكريم إلى تلاحق الفتن وتتابع النكبات على العرب بكناية لطيفة هي ابتداء انثقاب السد (سدُّ يأجوج ومأجوج) وهو السد الذي يحجز وراءه تلك الأقوام المتوحشة التي إن خرجت أهلكت الحرث والنسل، فهو إذاً تشبيه للفتن التي تحصل للعرب والمسلمين بالبلاء الذي يكون وراء خراب ذلك السد وما يتولد على أثر الخراب من أضرار فادحة تلحق بالناس الآمنين، أجارنا الله من فتنة الدنيا والدين.

«الاسلام دين القوة»

الحديث السابع:

عَنْ ابي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

« المُؤْمنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ، أحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصَابَكَ شيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أنِّي فَعلْتُ كان كذَا وكذَا، ولكنْ قُلْ: قدَّرَ اللهُ ومَا شَاء فَعَلَ، فإنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ ».

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية:

المؤمن القوي: لفظ « القوي » هنا ليس المراد منه قوة الجسم فحسب، بل إنَّ اللفظ جاء عاماً ليشمل القوة بجميع أنواعها، من قوة البدن، وقوة النفس، وقوة العلم، وقوة الايمان، وهكذا فالمؤمن القوي في إيمانه وفي عقيدته وفي علمه وفي جسمهِ خير من المؤمن الضعيف.

خير أفعل تفضيل حذفت ألفه تخفيفاً وليس مصدراً لأن معناه التفضيل بدليل ما بعده وهو (أحبَّ) وأمَّا في قوله (وفي كل خيرٌ) فإنها مصدر.

وفي كلٍ التنوين في (كلٍ) يسمى (تنوين عوض) وهو التنوين الذي يأتي عوضاً عن الاسم ويلحق لفظ كل فهذا التنوين عوض عن قوله (وفي المؤمن القوي خير والمؤمن الضعيف خير).

إحرص: من الحِرْص وهو العناية بالشيء والاهتمام به حتى لا يفوت، والماضي (حَرَص) بفتح الراء ومنه قوله تعالى ﴿**وما أكثر الناس ولو حَرَصْتَ بمؤمنين**﴾ (١) والمضارع يحرِص قال تعالى: ﴿**إنْ تَحْرِصْ على هُدَاهُمْ**﴾ (٢).

واستعن بالله: الاستعانة طلب العون من الله سبحانه والاعتماد عليه دون الاعتماد على الأسباب أو الاشخاص فمن أعانه الله فهو المعان، وقد أحسن القائل:

إذا لم يعنك الله فيما تريده
فليس لمخلوق إليه سبيلُ
وإن هو لم يرشدْك في كل مسلك
ضللت ولو أن السماك دليلُ

ولا تَعجز: بكسر الجيم على الأفصح أي لا تفرّط ولا تقصّر في العمل بل اعتمد على الله مع اتخاذ الاسباب.

كذا وكذا: أي حصل الأمر الفلاني أو الشيء العلاني فهما كناية عن شيء مبهم.

تفتح عمل الشيطان: أي وساوس الشيطان وأوهامه التي يلقيها على الإنسان فيكون سبباً لخسرانه وهلاكه.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (المؤمن القوي) جملة خبرية من الضرب الابتدائي، وفائدة الخبر هو تحريك الهمة، والحث والترغيب لأكتساب أنواع القوة.

٢ ـ قوله (خير) أفعل تفضيل بمعنى أكثر فضلاً، ومثله (أحبُّ إلى الله) فإنّ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٧.

كِلا اللفظين يقصد به التفضيل، لكنّ لفظ (خير) لا تدخله الهمزة وكذلك لفظ (شر) تقول: فلان خير من فلان ولا تقول: أخير.

٣ ـ قوله (وفي كلٍ) فيه (مجاز بالحذف) وهو حذف إيجاز، وفي التنوين إشارة إلى هذا الحذف، وأصله في المؤمن القوي خير، وفي المؤمن الضعيف خير.

٤ ـ قوله (القويّ): بين لفظ (القوي) ولفظ (الضعيف) من المحسنات البديعية ما يسمّى بـ (الطباق) مثل قوله تعالى ﴿وَتحسَبُهُم أيْقاظاً وهُمْ رُقود﴾[1].

٥ ـ قوله (تفتح عمل الشيطان) المراد تأتي بالوساوس والأوهام فهو إذن كناية عن الوساوس التي تصيب الإنسان من جراء قوله (لَوْ).

الأبحاث النحوية:

(المؤمن القوي): المؤمن (مبتدأ) والقويُّ (صفة) والخبر هو (خير).. (وفي كلٍ خير) الجار والمجرور (خبر) مقدم وخير مبتدأ مؤخر، (على ما ينفعك) ما: اسم موصول في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلق بإحرص، (قدَّر اللهُ) فعل وفاعل، وضبطه بعضهم بفتح الدال ورفع الراء فيكون مبتدأ (قَدَرُ الله) أي تقدير الله ومشيئته وجملة قدَّر الله.. الخ مقول القول. (فإن لوْ) كلمة (لو) كلمة قصد لفظها اسم إنَّ، وجملة (تفتح عمل الشيطان) خبر إنَّ.

الشرح الادبي:

في هذا الحديث النبوي الكريم، دعوة الى القوة، وإلى الأخذ بأسباب العزة والنصر، فالإسلام دين القوة، ودين العزة والكرامة، لا يرضى ـ بحال من الأحوال ـ أن يكون أتباعهُ في ضعفٍ وهوان، أو ذلة واستكانه، لأن المؤمن عزيز ﴿ولله العِزَّةُ ولِرَسُولِه وللمُؤْمِنينَ ولكِنَّ المُنَافقينَ لاَ يَعْلَمونَ﴾[2] فلا يجتمع ايمان وهوان كما

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

لا يجتمع النور مع الظلام، كيف لا.. والمؤمن يعلم أن له إحدى الحسنين: إما النصر والسعادة، وإما الفوز بالشهادة، وشعاره الذي يردده قول الشاعر العربي:

عِش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ

ولهذا فقد دعا الإسلام إلى القوة في كثير من آيات الذكر الحكيم ﴿**وأعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، ومِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ، تُرْهِبونَ بِهِ عدوّ اللهِ وعدُوَّكُمْ..**﴾ (١) الآية وضرب رسول الإنسانية محمد ﷺ أروع الأمثلة في الشّجاعة والقوة، حين فرّ الناس يوم حنين، ولم يبق معه إلا نفر يسير، فكان ﷺ وهو راكب على بغلته يخترق صفوف الاعداء وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

ولا عجب أن نرى هذا التوجيه الكريم من رسول الهدى ونبي الرحمة، يدعونا فيه إلى سلوك طريق القوة، ويفضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف، لأن القوة هي طريق العزة، وهي طريق النصر، وليست القوة التي دعا إليها نبي الإسلام قاصرة على قوة العضلات أو قوة الجسم، بل هي تشمل ضروب القوة، من قوة الجسم والعقل والعلم، وقوة الخلق والدين، وجميع السبل التي تقوي الإنسان جسمياً أو عقلياً أو روحياً، حتى يبقى المؤمن مهيب الجانب، عزيز النفس، مصون الكرامة، وليس الأخذ بالأسباب يتنافى مع الاعتماد على الله، والاستعانة به، فعلى الإنسان أنْ يسعىٰ للأخذ بالأسباب مع اعتماده الأساسي على الله عز وجل.. ولو أن المسلمين أخذوا بهذا الهدي النبوي الكريم، لعاشوا أعزة، سعداء كرماء وليتهم يفعلون!!

★ ★ ★

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.